# إلى أحبتي مدرسي الحلقات (ج ٢)

١/ ٤/ ١٤٣٧هـ

أشرت في المقال السابق إلى أهمية الزادَين: الإيماني، والعلمي لمدرس الحلْقة، وبيّنتُ أثره في تكوين المدرس، ومِن ثَمّ في الطلاب.

ومن أهم ما يتزوّد به معلّم القرآن: الصبر على هذه الوظيفة، وقد تأملتُ في سِير أئمة القُرّاء الذين صاروا شامة في جبين الأمة؛ فوجدت القاسم المشترك بينهم: هو الصبر، ولا غرو! فقد قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

وتجد في سياق تراجمهم عباراتٍ متنوعةً تصل منها رسالةٌ واضحةٌ بأن هذا الشرف لا يناله إلا من صبر وأخلص. تأمل هذه العبارات التي ساقها الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه البديع (معرفة القراء الكبار) عن أولئك الذين بلغوا رتبةَ الإمامة في هذا الباب، ففي ترجمة نافع المدني: «وأقرَأَ الناسَ دهرًا طويلًا».

وفي ترجمة حفص بن سليمان: «قرأ على عاصم مرارًا...، أقرَأَ الناس دهرًا»، وفي ترجمة محمد بن عبدالرحيم أنه قال: «قرأتُ القرآن على أبي الربيع ابن أخي الرشديني، وختمت عليه إحدى وثلاثين ختمة».

وفي ترجمة محمد بن النضر (ابن الأخرم): «قال محمد بن علي السلمي: قمت ليلةً المؤذنَ الكبير لأخذ النوبة على ابن الأخرم، فوجدت قد سبقني ثلاثـــون قارئًا، ولم تدركني النوبة إلى العصر»[1]، وفي ترجمة بكار بن أحمد بن بكار: «من كبار أئمة الأداء. أقرأ القرآن نحوًا من ستين سنة!».

وفي ترجمة عبدالواحد بن عمر (أبو طاهر البغدادي): «قرأ عليه خلقٌ كثير».

وفي ترجمـــة عبدالرحمن بن أحمد الرازي أبـــو الفضل العجلي: «يقرئ أكثر أوقاته».

وفي ترجمة أبو طاهر بن سوار: «حَبَسَ نفسه على الإقراء والتحديث».

وفي ترجمة عمر بن ظفر أبو حفص المغازلي البغدادي: «وختم عليه في مسجده خلقٌ كثير، وكان من أهل العلم والعمل» ـ وتأمل قوله: «وكان من أهل العلم والعمل!».

وفي ترجمة الحســـن بن أحمد أبو العلاء الهمداني: «وكان يقرئ نصف نهاره القرآنَ والعلم، ونصفه الآخر الحديث».

وفي ترجمة علي بن محمد بن عبدالصمد الســـخاوي: «أقرأ الناس نيفًا وأربعين سنة، فقرأ عليه خلق كثير بالروايات».

وفي ترجمـــة ركن الدين إلياس بن علوان الإربـــلي: «يقال: ختم عليه أكثر من ألف نفس!».

---

(١) فكم يبقى المعلم في هذه الأعصار؟ بعضهم يتبرم إذا انتهى زميلُه من المدرسين في الحلقة قبل أذان المغرب!

بل أعجبُ من هــذا كله في الصبر على الإقــراء والتعليم: أن الإمام قالون المدني -صاحب القراءة الشهيرة- كان شديد الصَّمم، وكان ينظر إلى شــفتي القارئ، فيَرُد عليه اللحن والخطأ!». الله أكبر! ألم يكن بوسعه التوقف؟ فقد أدّى ما عليه وهو صحيح السمع!

وقال الذهبي في ترجمة شــيخه يحيى بن أحمد الإســكندراني المالكي المقرئ المعدل: «رحلت إليه، فأُدخلــت عليه؛ فوجدته قد أضر وأصم، ولكن فيه جلادة وشهامة، وهو في سبع وثمانين سنة!»[1].

أرأيــتَ؟ لقد تعمّدتُ الإكثار من هذه النــماذج، مع تنوع العبارات؛ ليزداد يقينُك بطبيعة هذه الوظيفة التي شرّفك الله بها!

ومما يزيدك صــبًرا ينقلبُ بعد ذلك إلى لذّة: بــصرك بطبيعة تجارتك هــذه، ومعرفتك بنوعية أرباحها، فأنت في تجارة مع الله، تُعلّم كتابَ الله، وتقرؤه لصبيانِ المسلمين وشبابهم - والخطاب أيضًا لمن تشرّفت بهذا من النساء- فرأسُ مالِك قلوبٌ وأشخاص مكّنك الله منهم لتعلّمهم أشرف ما نزل من السماء.

وأما أرباحك فلا تســل عنها! إنها ألســنةٌ تلهج بكتاب الله ما دامت عــلى قيد الحياة، وملايين أو مليارات الحســنات التي تدخل في رصيدك الأخروي، ومُعلّمون جُدد تدفــع بهم إلى ميدان التعليم؛ ليحملوا الراية بعدك، بل لعلك ترى هذا الغرس يُؤتي أُكلَه وأنتَ حيٌّ تُرزق.

---

(١) تنظــر أخبار أولئك القراء في (معرفة القراء الكبــار) على ترتيب ورودها في هذه المقالة: ص: (١٠٧، ١٤١، ٢٣٤، ٣٠٦، ٣١٢، ٤١٧، ٤٤٨، ٤٩٩، ٥٤٤، ٦٣٢، ٦٨٧، ١٥٦، ٦٩٧-٦٩٨).

وإذا بُليـــت بمن يزهّدك فيما أنت فيه، ويذكّرك بالدنيا؛ فقل له ما قاله الذهبي في قصة مشـــابهة لقائل هذه الكلمة: «يا ســـبحان الله! وهل محلٌّ أفضل من المسجد؟! وهل نشر العلم يقارب تعليمَ القرآن؟! كلا، والله، وهل طلَبَةٌ خير مـــن الصبيان الذين لم يعملوا الذنوب؟!»[1]. وللحديث صلةٌ إن شاء الله.

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٦).